يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين الحاليت يتفاوت
الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق
جبلة او مكتسبة فحكى الطبرى عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة و
غريزة فى العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال هو و
الصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كل
الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رض
فى حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعهما الله حيث يشاء وهذه الاخلاق
المحمودة والخصال الشريفة الجميلة كثيرة ولكنا نذكر اصولها ونشير الى
جميعها ونحقق وصفه صلى الله تعالى عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذى منه ينبعث
العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأى وجودة الفطنة والاصابة
وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن
السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى
مكانه منه وبلوغه منه ومن العلم الغاية التى لم يبلغها بشر سواه واذ
جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحققة عند من تتبع مجارى احواله
واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدايع سيره وحكم
حديثه وعلمه بما فى التورية والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء و
سير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرايع
وتأصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التى اتخذ اهلها
كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة والطب والحساب
والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه فى معجزاته ان شاء الله تعالى
دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى علمائهم
بل نبى امى لم يعرف بشئ من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث عن حاله ضرورة وبالبرهان القاطع
على نبوته نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها
ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله تعالى عليه وسلم الى سائر ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما
يكون وما كان وعجايب قدرته وعظيم ملكوته قال الله تعالى وعلمك
ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول فى تقدير
فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره و
بين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات
والاحتمال حبس النفس عند الالام والموذيات ومثلها الصبر ومعانيها

متقاربة

متقاربة واما العفو فهو ترك المواخذة وهذا كله مما ادب الله به نبيه محمد
عليه السلام فقال خذ العفو وأمر بالعرف الاية روى ان النبى صلى الله
عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية سأل جبريل عليه السلام عن تأويلها
فقال له حتى اسأل العالم ثم ذهب فاتاه فقال يا محمد ان الله يأمرك ان
تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له واصبر على
ما اصابك وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال وليعفوا
وليصفحوا وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا خفاء
بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو عليه السلام لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى
اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن على التغلبى
وغيره قالوا اخبرنا محمد بن عتاب حدثنا ابو بكر بن واقد القاضى
وغيره حدثنا ابو عيسى حدثنا عبيد الله حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا
مالك بن انس عن ابن شهاب عن عروة عن عايشة قالت ما خير
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فى امرين قط الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما ابعد الناس منه وما انتقم رسول الله صلى
الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله تعالى فينتقم لله بها
وروى ان النبى عليه السلام لما كسرت رباعيته وشج وجهه يوم
احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت الله عليهم فقال
انى لم ابعث لعانا ولكنى بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومى فانهم
لا يعلمون وروى عن عمر رضى الله عنه انه قال فى بعض كلامه بابى
انت وامى يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض
الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك و
ادمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر
لقومى فانهم لا يعلمون   قال القاضى ابو الفضل انظر ما فى هذا القول من
جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق وكرم النفس وغاية
الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم على السكوت عنهم حتى عفى ثم
اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر او اهد ثم اظهر
سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومى ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم
لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه
الله لم يزده فى جوابه ان بين له ما جهله ووعظ نفسه وذكرها بما
قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل
ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن الحارث ليفتك
به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس

Copyright King Saud University